

العنوان:	محمد بن تاويت الطنجي كما عرفته
المصدر:	أعمال الندوة التكريرية التذكيرية للعلامة محمد بن تاويت الطنجي
الناشر:	مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة
المؤلف الرئيسي:	كرو، أبو القاسم
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1997
مكان انعقاد المؤتمر:	طنجة
الهيئة المسؤولة:	مدرسة الملك فهد العليا للترجمة
الشهر:	مايو
الصفحات:	59 - 65
رقم MD:	576821
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	محمد بن تاويت الطنجي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/576821

محمد بن تاويت الطنجي كما عرفته

أبو القاسم كرو *

عرفت محمد بن تاويت الطنجي أول ما عرفته عام 1972 في إسطامبول، وقد سألت قبل الذهاب إلى إسطامبول الدكتور رشاد الإمام بتونس¹ فسأل أباه - لأنه عاش زمناً في تركيا - عن التونسيين والمغاربة الذين ما زالوا في تركيا عامئذ. فذكر أسماء كثيرة، وكان من بينها سليمان الصفائحي وابنه محمد، وقد مات الأول وكان الثاني ب قيد الحياة عام 1972، فأعطاني عنوانه ومنه استفدت بالمغاربة الموجودين في تركيا، وسألت عن محمد الصفائحي في مناسبة أخرى². أما الآن فحديثي مقتصر على محمد بن تاويت الطنجي الذي عرفته أول ما عرفته عام 1972 كما أسلفت القول. وكانت معرفتي به في إسطامبول حيث مد لي يد المساعدة بما لا أتصوره من بشر قط؛ ففي العام جاءني شخصياً إلى الفندق بعد أن اتصلت به هاتفياً في بيته

* مستشار بوزارة الثقافة التونسية

1 - هو الآن، متم 1977، أستاذ في التاريخ بالجامعة التونسية.

2 - تحدثت عن محمد في رسالتي إليه، وعن أبيه سليمان أكثر من مرة في الإذاعات التونسية منذ عام 1980.

ورافقني إلى عديد من المكتبات، ولولاه لما أتيح لي قط أن أدخلها لأنها كانت مغلقة في وجه الباحثين غير الأتراك، أما هو فكان معدوداً لديهم أستاذاً في جامعة إسطنبول في كلية الإلهيات، وفي جامعة أنقرة، فكانوا يعاملونه معاملتهم لأستاذ تركي. وكان هو يجيد اللغة التركية إجابة تامة وبواسطته أمكن لي الاطلاع في هذه المكتبات على عديد المخطوطات وأكثرها يتعلق بابن منظور صاحب «لسان العرب»، مما مكنني عام 1972 من أن ألقى بحثاً في مدينة قفصة بحضور المرحوم الأستاذ عبد الله غنون، الذي كانت له هو أيضاً مشاركة في هذا الملتقى الثاني الذي يحمل اسم ابن منظور، واستمع إلى بحثي عن ابن منظور بعنوان : «حقائق جديدة عن ابن منظور»، ونشر كلاهما في كتاب هذا الملتقى الثاني عام 1974 وكلاهما مصحوب بصورة صاحبه - عبد الله غنون، أبو القاسم كرو³.

وإن أنس فلا أنس فعل الدكتور محمد بن تاويت الطنجي معي في هذا العام - 1972 - إذ جاء يوم سفري إلى الفندق وظل واقفاً حتى تحركت الحافلة بنا إلى المطار، مما أخلجني شديد الخجل خصوصاً وقد أهداني هديتين لا أنساها قط : إحداهما ميكروفيلم لكتاب «تجريد الوافي»، وهو فهارس على «الوافي بالوفيات» للصفي، وحتى هذا الوقت - متم 1997 - لم يكمل «الوافي بالوفيات»، فما بالك بذلك الوقت - 1972 - والهدية الثانية هي حلويات إسطنبول. وكان - رحمه الله - قد دعاني إلى بيته، وتناولت عنده الإفطار⁴ .. وقدم لي زوجته التركية التي لا تعرف لغة أخرى سوى لغة بلادها، وابنته الوحيدة التي كانت تعرف إلى جانب التركية اللغة الفرنسية، لكنها لم تكن في ذلك الوقت تعرف العربية .. وكانت آنذاك في سن المراهقة ...

وفي أكتوبر 1973 بعث إلي وزير الثقافة التونسي (وكننت في ذلك الوقت أشغل منصب رئيس دائرة الآداب في هذه الوزارة) أن أهتم بابن

3 - انظرهما في كتاب الملتقى. وأيضاً كتابي «دراسات عن قفصة وأعلامها» الذي نشرته جميعه صيانة مدينة قفصة؛ بتقديم رئيسها الأستاذ الأزهر الشريف.

4 - كان ذلك في شهر رمضان.

خلدون، لأن وزيراً يمينياً حدثه عن ابن خلدون وذكر له أستاذاً لبنانياً مهتماً بابن خلدون، فكلفني أن أكتب باسمه إلى هذا الأستاذ اللبناني وأدعوه إلى تونس ليتفاوض معه حول ابن خلدون. وكان لي رأي آخر في هذا الأستاذ اللبناني من جهة، ومن جهة أخرى، كان المرحوم محمد بن تاويت الطنجي قد حدثني عن ابن خلدون لما أثنيت عليه وأكبرت صنيعة نحو ابن خلدون عندما نشر «التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً» سنة 1951، بإشراف الأستاذ أحمد أمين في القاهرة. وكان مما قاله لي ابن تاويت الطنجي أنه حقق مقدمة ابن خلدون في 1800 صفحة ولم يبق له إلا الفهارس. فأكبرت عندئذ صنيعة وجهه العظيم نحو علامتنا ابن خلدون العظيم.

وهكذا كتبت تقريراً أقترح عليه إبدال محمد بن تاويت الطنجي بهذا الأستاذ اللبناني، وإذا وافق الوزير فإن الخطة تقوم على ما يلي :

- دعوة محمد بن تاويت الطنجي إلى تونس كضيف.
- مكاملة الجامعة التونسية لاستضافته على الأقل لمدة سنة.
- نشر هذه المقدمة في تونس، والمفاهمة مع ابن تاويت على هذا النشر وإعطائه حقوقاً مجزية.

- تكوين لجنة تونسية يتولى بن تاويت الطنجي رئاستها، وتتكون هذه اللجنة من أهل الاختصاص الذين يعرفون ابن خلدون حق المعرفة وتتولى هذه اللجنة نشر «تاريخ» ابن خلدون بإشراف وحضور محمد بن تاويت الطنجي.

ووافق الوزير فعلاً على هذه المقترحات، ووجهت باسمه وتوقيعه دعوة لابن تاويت لزيارة تونس⁵، ولا أدري لماذا لم يجب عليها إلى أن مات وانتقل إلى رحمة الله ١٩٩٠. وسمعت في العام الموالي أنه قد توفي، وكنت أنا قد ذهبت إلى ليبيا لأكون مديراً لأول مركز ثقافي تونسي (سبتمبر 1974-1977). وفي هذه الأثناء توليت الإدارة العامة للدار العربية للكتاب، ولمن لا يعرفها فإن رأس مالها يزيد عن نصف

5 - انظر هذه الدعوة في رسالتي إليه بتاريخ 24\10\1973 والمنشور نصها بعد هذه الشهادة مباشرة في هذا الكتاب.

مليون دولار، وهي تابعة للحكومتين التونسية والليبية، وكان لها رئيس هو الأستاذ خليفة التليسي منذ تأسيسها إلى اليوم، أما المدراء العامون فكثيرون وكلهم تونسيون حسب قانونها، وكنت أنا الثاني منهم. وهكذا وجدت من كان مديراً عاماً قبلي قد شارك باسم الدار في معرض الكتاب الأول في الكويت - دجنبر 1976 - فاغتذمت الفرصة لأنفذ من ناحية مشاركة هذه الدار في هذا المعرض، ومن ناحية أخرى لأمر بإسظامبول وأعقد عقوداً مع مؤلفين بها، وفي طليعتهم محمد الصفاحي وورثة ابن تاويت الطنجي، حول نشر «مقدمة» ابن خلدون التي حققها - وكان عندي عنوانه وتلفونه الخاص - فاتصلت بزوجه التي استقبلتني في بيتها استقبالاً خاصاً، مرحبة بي، بحضور ابنتها أي ابنة ابن تاويت الطنجي، وأخبرتني زوجته بواسطة ابنته، أنها لا تستطيع أن تفعل لي شيئاً - على حد قولها - إذ أن البيت الذي يقطنون فيه صغير الحجم - شقة في عمارة -، وأن ابن تاويت الطنجي كان لهذا السبب يضع مكتبته في كلية الإلهيات، وأن عميد هذه الكلية قد استولى على مكتبته، بما في ذلك مؤلفاته والمخطوطات التي حققها وعلي إن أردت نجاحاً أن أتصل بعميد هذه الكلية. فذهبت إليه - ومن حسن الحظ أنه كان يجيد العربية، وقال لي : سأكتب إليك إن أجد عندي جديداً، وللآن أنتظر...

وإن أنس فلا أنس أمرين اثنين في هذه المناسبة :

الأول : نجاحي التام مع ابن تاويت وكيف أهداني ميكروفيلم كتاب «تجريد الوافي بالوفيات» للصفدي، وكيف رافقني إلى جميع المكتبات وكيف بقي واقفاً في اليوم الأخير حذو الحافلة حتى تحركت إلى مطار إسظامبول.

الثاني : فشلي الذريع، ليس مع زوجته وابنته فقط، بل مع عميد كلية الإلهيات أيضاً، وكنت سأعرض عليها وعلى ابنته مالاً كثيراً، وكله كان معي وبالدولارات، ولكني فشلت معها ومع ذلك العميد، وكلاهما كان على حق، إذ أن الحكومة التركية في ذلك الوقت - ولعلها ما زالت إلى الآن - تمنع خروج أي مخطوط من البلاد. ولهذا لا أنسى أيضاً فشلي الذريع مع محمد الصفاحي الذي أعد هو الآخر فهرساً للمخطوطات

العربية الموجودة في المكتبات التركية بوصفه كان موظفاً فيها، ويزيد هذا الفهرس على 15 ألف مخطوط وحوالي ستة آلاف مؤلف إسلامي. وأعطاني منه قسماً من الجزء الأول - عام 1972 - ثم استرجعه مني. وقد عرضت عليه بوصفي مدير الدار العربية للكتاب آلاف الدولارات مقابل هذا الكتاب، فكان رجاؤه الوحيد هو أن أعيد إليه هذا القسم، لأن الحكومة التركية قد منعت من اعتبار الفهرس من تأليفه، وأوقفت تقاعده إلى أن يسلم إليها هذا الكتاب. وفعلاً سلمت هذا القسم إلى ابنه في السنة الموالية في تونس بحضور أحد أقربائه التونسيين، وأخذت عليه وصلاً.

أما ما جرى لابن تاويت الطنجي ولتحقيقه لمقدمة ابن خلدون فعلمه عند الله والراسخين في العلم ... ولعلي أتحدث عن هذه المقدمة مرة أخرى عندما أتكلم عن إحسان عباس وإبراهيم شبوح⁶ اللذين حاولا بدورهما الحصول على هذه المقدمة، فهل حصلوا عليها أم لا...؟ وما أعرفه عن ابن خلدون أن بيت الحكمة - مجمع تونس - مهمة به منذ عهد رئيسها الأول الدكتور أحمد عبد السلام، وفي عهد رئيسها الحالي الدكتور عبد الوهاب بوحديبة الذي استطاع أن يقنع الوزير بتبني نشر «المقدمة» و«التاريخ»، وأن يكلف بذلك الأستاذ إبراهيم شبوح الذي يشغل الآن بعمان منصب الأمين العام للمجمع الملكي المسمى (آل البيت). وكانت مؤسسة بيت الحكمة في عهد رئيسها الأول قد أصدرت كتيباً عن مخطوطات ابن خلدون في العالم، بما في ذلك المغرب وتركيا، ولم يرد في هذا الكتاب قط اسم ابن تاويت الطنجي رحمه الله.

6 - ضمن كتاب يعد الآن بعنوان «كما عرفتهم»، ويشمل شخصيات علمية وأدبية وتاريخية عديدة عاصرتها.

رسالة «أبو القاسم كرو»

تونس 24\10\1973

حضرة الأخ الأعز الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي حفظه الله.

تحية فائقة .. وبعد :

أستهل رسالتي الأولى إليكم بتقديم أعمق التهاني وأطيب التمنيات بمناسبة عيد الفطر المبارك .. راجياً من الله أن يعيده عليكم وعلى أسرتم وكافة المسلمين .. أمثال أمثاله باليمن والسعادة والهناء . وأن يحقق الله للعرب الغلبة على أعدائهم الحاقدين المتفطرسين .

لقد ترك لقاؤنا العفوي الأخوي في نفسي أزخر المشاعر وأعمق التأثيرات لما اكتشفته فيكم من صفاء النية وصدق القول وكرم المعاملة وجيل الأخلق، ونبيل السلوك وغزير المعرفة وتواضع العلماء الأجلاء الذين ندر وجودهم اليوم في عالمنا العربي المثقل بأوزار التخلف والأنانية وفراغ النفس والعقل والضمير .

وإنني إذ أقول ذلك عنكم فإنما أعبر عن أدنى درجة مما يملأ نفسي من رائع الانطباعات وجيل الصور وأعمق الآثار التي رجعت بها عنكم .. والتي لا تستطيع كلماتي ولا بلاغة لغتنا أن تحيط بها أو تسجل بعضها . ولو حاولت أن أقدم أو أعبر لكم عن تقديري لكم وإعجابي وعرفاني لما استطعت .. ولكنك أناقض ما تحدثت عنه من صفاتكم وأخلاقكم ..

فاسمحوا لي إذن أن أقدم للسيدة جرمكم ولابنتكم العزيزة كل تقديري واحترامي وشكري . وأن أنقل إليهما تقدير زوجتي وأبنائي وخاصة ابنتي منى، وتحياتهم مقرونة بمشاعر المودة والإعزاز .

والآن - ياسيدي - أرجو أن تكونوا جميعاً في صحة جيدة وهناء تام وأن نسمع عنكم دائماً كل ما يسر ويبهج .

تجدون مع هذه الرسالة «رسالة رسمية باسم السيد الوزير»، بها

دعوة لكم لزيارة تونس، وكما تفاهمنا أرجو أن يصلنا منكم في القريب ردكم بالقبول مع بقية البيانات المتفق عليها، وخاصة تاريخ بداية الزيارة ومدتها وعناوين المحاضرات (اثنتان أو ثلاثة - على الأكثر) مع صورة حديثة لكم ونبذة عن حياتكم العلمية وإنتاجكم.

هذا.. وقد شرعت فور رجوعي لتونس، بعد أسبوع تقريباً، في مراجعة مخطوطة «تجريد الوافي» من خلال الميكروفيلم الذي تفضلتم بإعارته لي.. وفعلاً فإن خط النسخة في غاية التعقيد.. ولكن رغم الصعوبة في قراءته فقد وجدت أنه يشير إلى ثلاث تراجم يهمني الاطلاع عليها، وليست موجودة في النسخة التونسية، وكلها في حرف الألف:

1 - ترجمة إسماعيل بن علي الربيعي أبو طاهر (نقلاً عن أنموذج ابن رشيق).

2 - إسماعيل بن علي أبو الطاهر المعروف بكاتب الكرامة (منقولة أيضاً عن ابن رشيق).

3 - أقوش المنصوري المعروف بقتال السبع. وحبذا لو تكرمت وتفضلتم بنسخها لي.

وفي رسالتي القادمة سأكتب بما تم إعداده لكم هنا من قوائم مخطوطات «المدارك» وابن خلدون التي كلفت من يعتني بها في دار الكتب التونسية. وكذلك أمر الكتب التي وعدتكم بإرسالها.

وفي انتظار جوابكم قريباً أجدد لكم ولأسرتكم الكريمة عميق شكري وفائق احترامي.

أخوكم المخلص أبو القاسم كرو.

